يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب: لئن أُخرِجْتُم لنخرجنَّ معكم، ولا نطيعُ فيكم أحداً أبداً، وإن قوتلتم لننصرنَّكم، واللَّه يشهدُ إنهم لكاذبون. لئن أُخرجوا لا يخرجون معهم، ولئن قُوتلوا لا ينصرونهم، ولئن نصروهم ليولُنَّ الأدبار ثم لا ينصرون. لأنتم أشد رهبة في صدورهم من اللَّه، ذلك بأنهم قوم لا يفقهون. لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرىً مُحَصَّنة أو من وراء جُدُر، بأسهم بينهم شديدٌ، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتَّى، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ (١).

ونوجز الإشارة إلى بعض لطائف الآيتين الأخيرتين من هذه المجموعة:

إنهما تعرضان جبن يهود وعملائهم من المنافقين، وتسجلان مظاهر هذا الجبن الخارجية، وتعلِّلان وجوده فيهم وتبينان أسباب تمكّنه منهم:

إنهم يَرهبون المؤمنين أكثر من رهبتهم من اللَّه، وتمتلىء صدورهم خوفاً ورهبة وخشية من المؤمنين ولا تمتلىء رهبة وخشية وخوفاً من اللَّه!! وهكذا كل الجبناء، لا يرهبون اللَّه ولا يستحيون منه ولا يقدِّرونه حقَّ قدره.

وإن اليهود والمنافقين لا يقاتلون المسلمين مجتمعين ﴿لا يقاتلونكم جميعاً﴾ ـ وجميعاً حال، وصاحب الحال يمكن أن يعود على الفاعل وهم اليهود، أو المفعول به وهم المسلمون ـ فهم لا يقاتلون المسلمين عندما يكون المسلمون مجتمعين، لأن الجبان يرهب الآخرين عندما يجتمعون، كما أن اليهود لا يجتمعون على قتال المسلمين لأنهم جبناء والجبن يفرق بين من أصيبوا به، وهو أكبر عامل من عوامل التفرقة والاختلاف.

وتدلنا الآية على الوسيلة والكيفية التي يقاتل بها يهود المسلمين، والتي أوحى إليهم بها جبنهم وهلعهم ورعبهم، لا يقاتلونهم إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر. إنهم ـ وكل الجبناء هكذا ـ ليسوا رجالاً ليواجهوا المسلمين مواجهة، وأنَّى لهم أن يتصفوا بلوازم الرجولة من الشجاعة والجرأة والثبات

(١) الحشر: ١١ ـ ١٤.